والجزائر مهمتها تحرير الارض المحتلة . كل ظاهرة ضعف في المقاومة يمكن ارجاعها الى خطأ وتهور هذا المنطلق الاساسي ، الى هذا التناقض الجذري بين المقاصد التي اعطيت للمقاومة وبين الاوضاع الموضوعية التي لا تلائمها . كل نقد او تقييم للمقاومة لا يرجع نهائيا الى هذا التناقض ويأخذه بالاعتبار يظلم المقاومة ويسيء اليها . فالمقاومة كانت رائعة ليس فقط في ظهورها وفرض ذاتها ، ولم تكن رائعة فقط في تفجرها في وقت كنا اشد ما نحتاج فيه الى هذا النوع من التفجر ، بل كانت ولا تزال وسوف تبقى رائعة بصمودها الصلب الكبير رغم هذه الاوضاع السلبية الهائلة التي لا يمكن لاية ثورة او حرب «شعبية» مهما تكاملت ان تسودها او تتحكم بها . المقاومة تقوم بعمل صمود جبار، وبدور تاريخي كبير ، وبعد تلك الهزيمة العسكرية النكراء في حزيران ، استطاعت بظهورها ان تعلن عن استمرار الرفض العربي فتعيد للجماهير ايمانها وللامة ثقتها بنفسها وتركز مشاعر الرفض وتحول دون اتساع وتضخم آثار الهزيمة .

هذا التناقض ، وليس شيئا اخر (كما يحلو للبعض ان يقول) ، هو الذي يفسر اقتصار عملياتها العسكرية الاساسية على الحدود . وهو وليس اي شيء اخر الذي يفسر كيف ان قوتها العسكرية ازدادت اضعافا عما كانت عليه عام ١٩٦٨ بينما فاعليتها في الارض المحتلة قد انحسرت عما كانت عليه انذاك . هو وليس اي شيء آخر الذي يفسر عجزها عن استخدام قوتها المقاتلة في الارض المحتلة. هو وليس اي شيء اخر الذي يفسر بلاغاتها المضخمة . هذا التناقض ، وليس اي شيء اخر، هو الذي يفسر ايضا كثيرا من الظواهر السلبية التي عانتها ولا تزال تعانيها في الاقطار العربية . خذ مثلا موقف الجيش الاردني المتماسك تجاهها في هزيمة ايلول الماضي . فان يبقى هذا الجيش متماسكا وان لم تسرع العناصر الفلسطينية التي تشكل نسبة عالية فيه الى الانضمام الى المقاومة فذلك لا يعود الى عداء اصيل من قبل الجيش ، او لان العناصر الفلسطينية فيه لا تبالي بمقاصد المقاومة او لانها اقل وطنية والتزاما بالتحرير من عناصر جيش فيتنام الجنوبي الذين يتركونه وينضمون الى الفيتكونغ بمعدل عشرة او اثني عشر الفا في الشهر ، بل لان المقاومة لم تبرهن لهم في الممارسة انها تستطيع القيام بدور التحرير لفلسطين كحرب شعبية مماثلة للحرب الفيتنامية وهو الدور الذي شدها اليه الفكر المقاوم الشعائري التبشيري .

التمرد يقود الى عمل فعال في الخارج عندما نقتنع بانه من الممكن تغيير هذا الواقع لمصلحة مقاصد التمرد . ولكن كي يدل التمرد على ذلك فيبرر هذه القناعة ويغذيها عليه ان يدل بوضوح على فاعليته اليومية في اجراء هذا التغيير . ولكن كي يتم هذا له وجب عليه ان يعمل في اوضاع ملائمة لهذه المقاصد لان فاعلية التمرد لا تنتج عن قوى وطاقات ذاتية فقط ، بل عن علاقة وتفاعل هذه القوى والطاقات مع اوضاع موضوعية مناسبة لمقاصد التمرد . ان حدة المحرك او الباعث الذي يدفع ويحفز الجماعات والافراد على الابداع والالتزام الثوري تتغير وتتحول مع درجة التجاوب التي يحققها هؤلاء مع الاتجاهات والقوى والامكانات التي ينكشف عنها الواقع التاريخي السياسي الموضوعي . فبقدر ما تزداد درجة هذا التجاوب تزداد حدة المحرك على الخلق والالتزام الثوري . فالجماعات والافراد يعجزون ، بكلمة اخرى ، عن ممارسة الخلق والابداع وعن ممارسة الالتزام الثوري الفعال دون معاناة هذا التجاوب .

الفكر المقاوم التبشيري يتجاهل هذا ، ويتغافل عن العلاقة الديالكتيكية بين الخلق وبين الوضع التاريخي ، على الرغم من مضغه المستمر المضجر لكلمات « علمية » و « منهج علمي » ، و « جدلية» و « موضوعية » الخ ... انه طرح مقاصده عن طريق تصورات ذاتية وليس عن طريق وعي موضوعي ديناميكي صحيح للمرحلة التي تحيط به ، انه يتشوق لكذا او كذا من غايات ، فيتبع الغايات دون ان يحاول اشتقاق الغايات من هذه المرحلة او من الواقع الموضوعي الذي يعمل فيه ، او على الاقل دون القدرة على الربط بينها وبين القوى والاتجاهات والاوضاع الموضوعية التي تسودها . وقد طرح الفكر المقاوم المقاومة بشكل بسيط مبسط ، أو كحقيقة تصاعدية مجردة . ولا عجب في ذلك . فالحقيقة بالنسبة للفكر التبشيري هي من هذا النوع التصاعدي ، « ومجالها » يكمن في بساطتها . ازمة المقاومة حاليا تعود الى كونها طرحت بهذا الشكل التجريدي . الفكر المقاوم مسؤول عن ذلك ، ومسؤوليته هذه تجعل منه عدوا فعليا للمقاومة .

شعائرية هذا الفكر المقاوم التبشيرية تجاوزت في